٩- القرآنيون (منكري السنة):

نقف الآن مع جماعة أحدثت جدلاً واسعاً في أوساط المجتمع الإسلامي؛ حيث اتسع منبرهم الإعلامي، فوجدنا كثيرًا منهم عبر شاشات التلفاز ينشرون أفكارهم، ومن أشهر هؤلاء جمال البنا، وقد عُرفت الجماعة بأنهم القرآنيون فمن هم؟

هي واحدة من البدع الضالة القديمة، ظهرت في القرن الثاني الهجري، ثم وئدت فيبعض حالاتها بالحجة والحوار بين علماء الأمة وبين أهل هذه البدعة، لكن حالات أخرى اقتضت المواجهة لما استفحلت الفتنة، وأراد أصحابها أن يستبدلوا شريعة الله بشريعة الأهواء.

ومنذ بدايات القرن الثالث لم يسمع أحد، ولم يأت ذكر في كتب التاريخ أو الملل والنحل لهذه البدعة، حتى أتى الإنجليز إلى واحدة من مراكز الإمبراطوريات الإسلامية منذ قرن ونصف القرن من الزمان، ساعين إلى تأكيد سقوطها بكل الوسائل الممكنة، السياسية والاقتصادية والعسكرية، وعرفوا أن السبيل الأول لتحقيق هذه الأهداف لن يكون يسيراً قبل سقوط العقيدة الإسلامية الصحيحة من نفوس وقلوب وعقول المسلمين في الهند الكبرى، واستطاعوا من خلال أصحاب الشهوات والمطامع أن يخترقوا جدران الدعوة، وأن يصنعوا شرخاً بين صفوف الدعاة، وأن يوقظوا فتنة عاصفة بين علماء الأمة، مستغلين مساحة الجهل والأمية التي اتسعت رقعتها بين مجتمعات الإمبراطورية، فتصدع البناء، وانهارت الجدران لتسقط على رؤوس المسلمين، وتنتهي إمبراطورية الإسلام في الهند.

كانت تلك البدعة، هي الاكتفاء بأحد مصدريّ التشريع الإسلامي وهو كتاب الله الكريم، والاستغناء عن المصدر الثاني وهو السنة النبوية المطهرة، وذلك بالتشكيك بداية في شرعية هذه السنة، ثم التشكيك في صدق ما ورد بها من أحكام وتشريعات، ولتحقيق

هذين الهدفين المتلازمين، أُتخذت سبلٌ عديدة، تعتمد التشكيك في متن الأحاديث، وطرق روايتها، والرواة، ومن ثم إسقاط الأحكام التي وردت بها.

ومن الهند انتشرت هذه البدعة إلى العراق ومصر وليبيا وأندونيسيا وماليزيا وغيرها من بلاد المسلمين.

نشأتهم وتطورهم:

يمكننا التأريخ لنشأة فرقة منكري السنة النبوية بظهور فرقة الشيعة وموقفهم العدائي من صحابة رسول الله - رضي الله عنهم - بعد بيعتهم لأبي بكر الصديق إماماً وخليفة للمسلمين، وأرادوا ألا يؤم المسلمين أحدٌ من غير بيت النبوة إلى يوم القيامة، ورفض كل ما يأتي من أخبار وروايات وأحاديث عن طريقهم، بعد أن حكموا عليهم بالكفر والخروج من ملة الإسلام. ومن أثر شطط الأحكام الضالة لفرقة الخوارج نسب إليهم الإمام البغدادي إنكار السنة جملة وتفصيلاً.

أفكارهم ومعتقداتهم:

١- اعتبار القرآن الكريم المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية دون سواه.
٢- استبعاد كل المصادر الأخرى المشكلة للشريعة الإسلامية كالسنة والسيرة والتفسير والقياس والاجتهاد والإجماع وفتاوى الأئمة.
٣- وفيما يتعلق بالسنة النبوية على وجه التحديد، فقد وجّه القرآنيون سهامه منحوها، وأبعدوها من مذهبهم، منكرين أنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بل ومنكرين لها جملة وتفصيلاً بزعم أنها غير محفوظة مثل القرآن، وأن نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم غير يقينية.
٤- ادعاؤهم بأن الصوم في شهر شعبان، وليس في رمضان.

٥- اعتبارهم أن الكعبة صنم، وأن الطواف حولها من طقوس الوثنيين في الجاهلية.

٦- ينكرون وجود النسخ بأقسامه الثلاثة: نسخ الحكم، ونسخ التلاوة، ونسخ الحكم والتلاوة في القرآن الكريم، معللين ذلك بقولهم: الإقرار بوجود الآيات المنسوخة في القرآن يستلزم مخالفة القرآن نفسه، إذ يوقع الجرح في العلم الإلهي بحيث أن بعض أحكام القرآن استلزم النسخ لعدم مسايرتها الظروف الزمنية.

٧- يرى بعضهم بعدم وجود للمجمل في القرآن الكريم، كما يختلفون في مسألة تخصيص القرآن، وتقييده بغيره، إذ قال بعضهم: "وإن القرآن الكريم برئ من عيب الإجمال، والإطلاق كبراءة الله وطهارته، لأنه لا يتصور تخصيص العام أو تعميم الخاص، أو تقييد المطلق أو إطلاق المقيد إلاّ من المتكلم، أو ممن هو أعلى منه، لا ممن يساويه في الرتبة، وكيف من المخلوق في كلام الخالق.

٨- يعتمدون في فهم القرآن وتفسيره على اللغة العربية فقط، وذلك بسبب استبعادهم للسنة النبوية الموضحة والمفصلة للقرآن، فصرفوا الآيات والأحكام عن مرادها، ومن أمثلة ذلك قول الحافظ محمد أسلم منتقداً المفسرين لعدم سلوكهم هذا المسلك: " المفسرون يبحثون عن غير القرآن أكثر منه في القرآن..، وإن القرآن لو نظرنا إليه بعين بصيرة لوجدناه مفصّلاً، ففيه تفسير حقائقه، وحل مشكلاته، وشرح مصطلحاته، وكل ذلك يعود فهمه إلى تعلم العربية، فمنعرف العربية فهم القرآن دون معونة أي علم آخر.

وقد جاء في تفسيرهم للطواف مثلاً قولهم: " ليس معنى الطواف أن تدور حول البيت، بل معناه أن نتردد إليه بين الحين والآخر.

٩- تبني نظرية مركز الملّة التي تعني أن الآيات التي تأمر بطاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - غير مختصة بهما، إنما تعني طاعة الحاكم أو الإمام الذي يتولى منصب النبي - صلى الله عليه وسلم – من بعده. وقد أعطوا لهذا المركز صلاحيات تعيين حكم الشرع في الأحكام التي لم يرد ذكرها في القرآن، دون أن

يلتزم بما سبقته من الأنظمة، والتمتع بالتحريم والإطلاق والتقييد لما يراه غير موافق لظروفه من الأحكام القرآنية.

١٠-وفي الجانب الاقتصادي، يروجون للنظرية الاشتراكية، التي تبنتها الشيوعية ويطلقون عليها (نظرية نظام القرآن الاقتصادي)، وتعني سيطرة الدولة على الثروات ووسائل الإنتاج، وإلغاء الملكية الفردية، يقول غلام برويز: " يجب على الدولة الإسلامية أن تلبي جميع حاجيا تشعبها "، "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا" [١]، وبنص الآية تضمن الدولة جميع متطلبات شعبها، وهي التي تقول لهم: "نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ "[٢] ويقول أيضا: "في ظل هذا النظام لا يجوز جمع المادة البتة، وقد جاء الوعيد الشديد على من يجمعها، قال تعالى: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "[٣].

وفي النظام القرآني لا يمكن البقاء للأموال النافلة في أيدي أصحابها ، ولا سيما أن نتصور الملكية الفردية تحت حكم هذا النظام، بل تعمم الأرض والأموال والمصانع والتجارة للملكية الجماعية، حتى يستطيع هذا النظام القيام بتلبية ما يحتاج إليه أفراده.

١١- إنكار وقوع خوارق العادات من محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته من بعده، ما عدا معجزة القرآن، يقول الحافظ أسلم: " لم يعط النبي - صلى الله عليه وسلم - معجزة سوى القرآن، بينما الأحاديث ذكرت له معجزات حسّية كثيرة.

١٢-ذهب بعضهم إلى القول بأن المسيح عيسى بن مريم ولد من أبوين شرعيين، لا من مريم وحدها، كما صرح بعضهم بعدم عودته إلى الأرض مرة أخرى، وقالوا

---

[١]- سورة هود آية (٦).
[٢]- سورة الإسراء آية (٣١) .
[٣] - سورة التوبة آية (٣٤) .

بأن معتقد العودة دخل إلى الإسلام من المسلمين الذين كانوا نصارى قبل الإسلام.

١٣- ينكر القرآنيون الحياة البرزخية في القبر، أما الجنة والنار فذهب بعضهم إلى أنهما (أماكن حقيقية ستخلق يوم القيامة، وأنه لا وجود لهما حالياً)، وذهب فريق ثانٍ إلى: (أن الجنة والنار وما وصفتا به من نعيم وعذاب صورتان تمثيليتان)، ورأى فريق ثالث أن: "الجنة والنار طور من أطوار الحياة البشرية، وإن نمو الحياة وازدهارها يعني حياة الجنة، وتوقفها وعدم الرقي فيها يعني حياة الجحيم والنار".

١٤- لهم آراء في الميراث تخالف ما عليه أهل السنة، مثل اعتقادهم بأن اختلاف الدين بين الوارث والمورث لا يمنع من الميراث، وأن الأنبياء يورثون، وأن الرق لا يمنع من الميراث، وأن أولي الأرحام هم من يرتبط الميت بهم بصلة الرحم والقرابة، فيدخل فيهم الأب والأم والأولاد والإخوة والأخوات والأعمام وأبناء الإخوة.

القرآنيون في ميزان النقد:

الحقيقة العارية تقول: إن هذه الجماعة تمثل خطرا داهما على الإسلام، شأنها شان الشيعة لما لها من نشاط ملموس، ومنابر إعلامية كثيرة، وجدت من العوام أذنا مصغية، ترتب عليها ما يلي:

١- حملة تشكيك واسعة في صحيحي البخاري ومسلم، تلك الحملة التي رأيناها من أشخاص ليس لهم أية علاقة بعلوم الدين، فمنهم المحامي والفنان والصحفي ومن لا عمل له، ومع الأسف الشديد هؤلاء قد وجدوا منابر بعد ثورة ٢٥ يناير يطقون منها سمومهم وأفكارهم.

٢- ظهرت أفكار جديدة مبنية على التأويل الخاطئ من هؤلاء عقب إنكارهم للسنة النبوية الشريفة، من مثل مساواة المرأة للرجل في الميراث، وعدم القول بفرضية الحجاب، وعدم التعدد في الزوجات، حتى رأينا دولة مثل تونس تشرع قانونا يجرم التعدد ويساوي بين الرجل والمرأة في الميراث.

٣- أصبح هؤلاء القرآنيون وسيلة سهلة لمن يريد ضرب الإسلام من أعدائه، وأثبتت التحقيقات اعتقاد عن تقاضي بعضهم للأموال، فضلا عن انتسابهم لمراكز بحوث مشبوهة، وأشيد هنا بالدولة المصرية التي تصدت لبعضهم بتطبيق قانون ازدراء الأديان، وعلى رأسهم إسلام البحيري، ومحمد عبد الله نصر (الشهير بميزو).

وبعد فيجب على الأزهر ألا يغفل عينيه عن هؤلاء، فهو الحامي لعقيدنا الصحيحة، المتمثلة في الكتاب والسنة، وهو القلعة الراسخة، وحائط الصد الرصين أمام كل من يريد العبث في العقيدة الإسلامية.